(جان آرب .. فنان الكتلة والفراغ)

(١٨٨٧ - ١٩٦٦)

در بـــلا ظـــلال
في أقـــواس بـــلا ابتسامـــات
ظـــلال ملتحيـــة
تسجـــل همهمـــات الحركـــة
وأدق دقائـــق الرعـــب
أبحث تحـــت الرماد البـــارد
عـــن أصغـــر العصـــافيـــر
التي لا تخفض أبدا أجنحتها ،
لأنها أبـــدا تقـــاوم الريـــح .

ولد جان (هانز) آرب بستراسبورج بالالزام عام ١٨٨٧ ، وعرف كمثال ولكنه مصور وحفار وشاعر ، وهو واحد من كبار المبدعين والمتميزين في عالم الفن المعاصر ..

هذا الابداع وذلك التميز تمتع بهما منذ طفولته ، فقد مارس محاولاته في الرسم وهو في سن مبكرة جدا ، ولا غرابة فقد تلقى دروسه الثانوية في باريس .. التحق رسميا بمدرسة الفنون الزخرفية وهو في السابعة عشرة ، ولكن سرعان ما أصيب بالملل من جراء نقل صورة العصافير في العش والزهور المتخفية .

وفي هذه السن أيضا زار آرب باريس واكتشف أشكال التعبير المتطورة في الفن الحديث .. وفي هذه السن لم تعد الدراسات الأكاديمية ترضيه وتشبعه وتفيده أو تضيف إلى موهبته شيئا ، وهكذا بقى في سويسرا لكي يرسم ويفكر ويشعر بحرية وكانت قصائده الأولى ..

تعرف آرب عام ١٩٠٩ إلى بول كلي الذي عرفه فيما بعد بكاندنسكي وماكس آرنست، وكانت بداية حياته الفنية والاجتماعية ، الأمر الذي هيأ له فرصة الاشتراك عام ١٩١٢ في المعرض الثاني بميونيخ ، أما في العام التالي فقد عرض آرب في برلين في أول صالون خريف يقام في العاصمة الألمانية .. وخلال تلك الفترة اتصل بماكس آرنست وقويت علاقته به مما أدى إلى تواجده طوال عام ١٩١٤ في باريس بصحبة أبوللنير وكرافان ودولونوي وبيكاسو وموديلياني الـذي رسم بورتريه له ، فضلا عن الاختلاط بالوسط الفني والأدبي ..

عاد آرب إلى سويسرا تجنبا لأهوال الحرب خاصة وأنه يجمع بين الجنسيتين الفرنسية والألمانية وهكذا عكف على رسوماته ذات الطابع التكعيبي المتميز بالدقـــة والوضوح والقوة .. وإلى جانب الرسم طبق المذهب نفسه وبأسلوبه الخاص على السجاد والكولاج الذي عرضه عام ١٩١٥ بجاليري تانير بزيوريخ .. وفي زيوريخ وبفضل علاقته القديمة بماكس آرنست أقام معه فترة طويلة ابتداء من عام ١٩١٦ ، حيث ظهرت "الدادية" على يديه وتأثر بها آرنست تأثرا كبيرا .. وهذا ما دعاه إلى الاشتراك مع تزارا وجانكو وهوجوبال في تأسيس حركة " الدادية " .. وهكذا استعاد آرب نشاطـــه الذي كان قد بدأه عام ١٩١١ عندما أسس مع اثنين من المنفيين الألمان هما فالترهيلبيج وأوسكار لافي مجموعة " ديرموردرماند " .

وتعرف على الفنانة التشكيلية صوفي تاووبير وتزوجها فيما بعد وبالتحديد في عام ١٩٢٢ ..

ولقد كان تأثير آرب على الداديين قويا وواضحا ، وامتد هذا التأثير ليس من خلال اللوحات والتماثيل فحسب ولكن من خلال أغلفة دواوين الشعر كذلك ، وكذلك من خلال الكولاج التجريدي ..

وفي عام ١٩١٨ بدأ آرب يمارس ما سمي بالرسم ما بعد الشاعري والذي يشبه كثيرا لوحات كاندنسكي المائية التجريدية المبكرة ..

وفي عام ١٩٢٠ عاد آرب إلى كولونيا حيث اشترك من جديد مع مجموعة جديدة من الداديين الجدد وعلى رأسهم ماكس آرنست وبارجلد ..

وفي باريس حيث انتشرت السريالية انتشارا مذهلا عطل نمو المذاهب والأساليب الأخرى التي ولدت معها أو قبلها بقليل وأبرزها الدادية ،

لم يستطـــع آرب أن يغالب تيار السريالية الجارف بل أصبح علما من أعلامها بعد بيكاسو .. وقد أضاف آرب إلى سريالية بيكاسو المتدفقة ما أسماه " الرمزية الحسية " برسم أشكال غريبة ولكنها موحية معبرة وذات دلالة إنسانية غامرة.. وفي إطار السريالية أيضا أدخل آرب " الكولاج " أو "القص واللصق" مستخدما الورق المقوى والسلك سكرين والجواش بطريقة "السيريجرافي" المحدودة النسخ عند السحب على النسخة الأصلية التي تبلغ في المتوسط ٤٠سم طولا في ٣٠سم عرضا ..

وفي عام ١٩٢٥ كان آرب من أوائل العارضين في أول معرض سيريالي ، وفي العام نفسه نشر بالاشتراك مع ليستزكي أول دراسة نقدية فنية له بعنوان " الفن " ..

ولقد شارك بانتظام منذ عام ١٩٢٦ وبعد أن تقررت إقامته بشكل نهائي في منطقة المودون في أنشطة الحركة السريالية الفنية والفكرية إلى جانب عضويته الدائمة بمجموعـــة الفن التجريدي " دائرة ومربع " وكذلك بمجموعة " تجريد – إبداع " ..

وفي عام ١٩٣٠ ، ١٩٣١ عرض لأول مرة مجموعة الرسومات الممزقة إلى قطع صغيرة والمعاد تكوينها بأشكال مختلفة .. ومنذ هذا التاريخ وهو ينوع في تناولاته ويجدد في رؤاه ويحاول محاولات عديدة ومتباينة ليخرج بنتائج مبتكرة ، بعضها ينجح والبعض الآخر يخفق في الوصول إلى عيون المشاهدين وعقولهم ..

وفي هذا التوقيت بدأ يمارس النحت ، أولا على الحجر ثم على المعدن .

وخلال الحرب العالمية الثانية هرع آرب إلى جراسي حيث عمل مع سونيا دولونوي وألبرتو مانيللي ..

بعدها أقام آرب فترة في أمريكا (١٩٤٩ - ١٩٥٠) ثم في اليونان (١٩٥٢-١٩٥٤) ..

عرض آرب في معارض باريس ولندن وليدز ونيويورك .. ولكنه لم ينل شهرته العالمية إلا فيما بعد الحرب ، فقد حصل على جائزة النحت الكبرى ببينالي فينيسيا عام ١٩٥٤ ، وظل بقية سنوات عمره موزعا بين مرسمه في مودون ومرسمه الآخر في لوكارنو مركزا على النحت وملتفتا أحيانا إلى الرسم والحفر وكتابة الشعر ..

وتفرغ آرب فترة لكتابة " مذكراته " الشخصية والفنية فقد عرف آرب بحبه للكتابة إلى جانب عشقه للفن ولكنها الكتابة التي تدور في فلك الفن دائما، إلى درجة أنه كان يقترب من النقد الفني في وقت لم يدع فيه عمالقة الفن الذيـــن ظهروا معا وفي ظروف متشابهة الفرصة الكاملة لظهور نقاد فنيين على مستواهم ، قبل ظهوره " أندريه بريتون " أبو السيريالية (من وجهة نظر فكرية) و " بول إيلوار " صديق الفنانين (من وجهة نظر إنسانية) و"أندريه مالرو" راعي الفن (من وجهة نظر حضارية) ..

ولهذا صرح آرب بقوله : " لو لم يعترف بي منذ البداية كفنان تشكيلي لأصبحت الآن ناقدا تشكيليا " ..

ومع هذا فقد كان آرب واحدا من مؤسسي الفن الحديث ولا يمكن إغفال دوره الرئيسي والأساسي في هذا المجال .. كما لا يمكن إنكار مساهماته الفعالة في الحركتين الدادية والسيريالية ومساهماته الأكثر تأثيرا في الحركة التجريدية المناهضة للحركة الحسية ..

وشهرة آرب لا تقل أيضا في التصوير والرسم والحفر ، وفيها جميعا كان أسلوبه واحدا بسيطا ، فالأشكال متناغمة دائما والمساحات محسوبة بدقة والحساسية موزعة على الكتلة كما هي موزعة على الفراغ والشاعرية تكسو كل الأسطح كما تتخلل كل النتوءات بحريـــة وحيوية في نسيج يجمع بين الحلم والواقع ويمزج بين الحقيقة والخيال .

وفي عام ١٩٦٦ وفي مدينة بازيل شفايز توفي جان (فرانز) آرب عن تسع وسبعين عاما عامرة بالفكر والفن .